# الثقافة الجنسية

## للدكتور ابراهيم ناجى

العالم الآن يجتاز مرحلة من أدق مراحل التاريخ . مرحلة يكثر عندها التساؤل : ما وراء هذا الصراع القائم ؟ وهل تحسن بعدها الدنيا أو تسوء ؟

لقد أخرجت المطابع فى هاته الأيام آلاف الكتب التى يتنبأ كاتبوها عن المستقبل . وهم إذ يتكلمون عن المستقبل يستعرضون الماضى ولا يغفلون الحاضر .

فلنستعرض معهم ماضى الحضارة ، حتى نصل إلى الحاضر لعلنا نجد تعليلا لما يجرى ، ولعلنا بعد التعليل نستطيع أن نجد دواء أو شبه دواء . .

* * *

نشأ الانسان والأرض ملك للجميع . أقول نشأ الانسان ، بعد أن صار إنسانا فر بعصور الزواحف والجليد والحجر والمستنقعات الخ ... آلاف السنين ، حتى استكمل الصورة التى جعلت منه إنسانا يحاسب ويقام له وزن ... ...

أقول ، كانت الأرض ملكا للجميع . خيراتها متاع مشترك ، وصيدها فى البر والبحر والهواء حلال لمن يريد ويستطيع ... حتى جاء يوم لا نعرف تحديده فى بطون التاريخ ، خطر فيه لإنسان ما أن يدخر ! يدخر جلد حيوان أو ناب فيل ، أو ريش نعام ، فهنا أخذ يملك بالادخار ما لا يملكه الآخرون ، أى صارت له ثروة ! فهذا هو المنشأ الأول للمال . وهنا أخذ بفر المدنية يزغ على الوجود ، وذلك بوجود شبح المال .

بعد ذلك أخذ الناس يميزون بين حال فريقين ، هذا لديه شىء وذاك لا يملك ، أى صار هناك غنى وفقير ، قوى وضعيف ، أو بعبارة أخرى انمحى عصر المساواة الأول وذهب إلى الأبد : وكانت النتيجة الطبيعية لذلك أن الغنى أو القوى أخذ يدل بغناه أو بقوته ، وأن الفقير أو الضعيف أخذ يشكو من عبودية الفقر . أو من تحكم القوى . .

فلما شاع ذلك ، أخذا يتلفتان فى البحث عن حكم أو حكومة ... والحكم يفترض فيه النزاهة التامة والبعد عن الهوى .

ولكنه على الأجيال شذ عن تلك الصفة ، واتخذ من الأمر ما ليس له ومن السلطة ما لا يجوز ، فترك القوى والضعيف النزاع الذى بينهما ليتناقشا فى أمر ذلك الحكم الذى اختاراه بنفسيهما ليقضى بينهما ماهو ؟ ومن هو ؟ وهل له الحق فى الفصل بينهما بدون أن يأخذ رأيهما ؟ ؟

وصار النزاع على الأجيال متخذا صورتين أو وجهين : الحكم يقول : هما حكمان، وهذا اعتراف بعجزهما عن تصريف أمورهما . واعتراف كذلك بقصور إنسانى عام ، وضعف اجتماعى شامل ودليل على حاجة الناس فى كل الأزمنة لمن يقوم عليهم مقام الولى المرشد .

والطرف الثانى يقول : ولكن نحن اخترناه ، فليس له غير صفة المشرف الرقيب الذى يقضى برأينا . ولا يمكنه التصرف بغير الرجوع إلينا .

هذا هو النزاع الاجتماعى أو السياسى القائم إلى اليوم، أو مايسمى النزاع بين الدكتاتورية، والديمقراطية ...

ولو استعرضنا الأزمات السياسية العالمية من أوائل التاريخ إلى عصرنا هذا ما وجدناه يخرج عن صراع بين هذا الفريق وذاك على صورة من الصور . . .

لننظر الآن الى العقل الانسانى وهل هو حقيقة قد تطور وترقى ؟ أى ننظر الى التطور البيولوجى بعد النظر الى التطور الاجتماعى الذى لم ينته بعد الى حل من الحلول .

يقول الدكتور شلر فى كتابه عن "مستقبل الانسان" إن السبب فى قيام المدنية الانسانية ليس قاصرا على تميز الانسان بالعقل فالقردة العليا عقل ، ولأكثر الحيوانات ذكاء نادر ، ولكنه لم يكف لقيام حضارة كالحضارة الانسانية .

لماذا ؟

يقول شلر إن العقل الانسانى لايزال يسير على الطريقة الحيوانية القديمة ألا وهى التجربة والاستفادة من الخطأ والصواب .

ولكن الحيوان يحتفظ بالنتيجة لنفسه ، بينما الانسان ينقل المعلومات لغيره ويكدسها تكديسا . وفوق ذلك فإن العقل الانسانى قادر على الخيال المركب الذى يستخلص النتائج ويبنى عليها ، وقادر كذلك على الانتقاء والتخير .

ولكن قيام المدنية على الأكثر سببه انتقال المعلومات من جيل لجيل والذى سهل ذلك بالطبع اكتمال أساليب اللغة والكلام .

لننظر الآن الى الخلق الانسانى : من الثابت اليوم لعلماء النفس أن الخلق الانسانى هو هو بعينه خلق القرون الأولى . وأن الآداب والأذواق ليست غير طلاء كاذب ووهم مقنع. ودليل ذلك أنه فى أحوال خاصة كالحرب والحب والغضب والمرض والسكر يتمزق ذلك القناع الكاذب ويعود الانسان حيوانا أو وحشا أو طفلا .

قال أحد فلاسفة الانكليز لأحد فلاسفة الهنود ، إن العقل الانسانى تطور ، انظر الى الطيارات والغواصات . قال الهندى عجبا لكم تطيرون فى الهواء وتغوصون فى الماء ولكنكم من ناحية الخلق أطفال لاتعرفون كيف تمشون على الأرض .

واستطرد ذلك الفيلسوف قائلا :

إن الانسان يمر به عمر "شيطنة" بين التاسعة والبلوغ ... يستلذ فيه الفتك والتخريب . ولما كانت الانسانية صورة مكبرة للانسان فهى الآن لم تتعد ذلك العمر من التاريخ ...

واستطرد قائلا بعد ذلك إن الانسان لايزال فى العصر الحجرى أو على الأكثر فى عصر المعادن ، لأن النزاع فى الحرب الماضية كان على مناجم الحديد فى اللورين .

ويقول الفيلسوف "جود" إن "القطيع" الانسانى لاتزال تتحكم فيه غريزة "القطيع" ومعنى غريزة القطيع أن أفراد القطيع يتشابهون تشابها تاما ، ويثورون على كل من خرج على نظام القطيع ، فاذا تميز أفراد منه بالذكاء أو الجاه أو السلطة ، تصدى آخرون لهم حقدا أو تمردا ، ليردوا الغريزة السائدة الى وضعها الأصلى ، فالدكتاتورية لم تخرج عن أنها مجموعة من هؤلاء الأفراد الحاقدين الغاضبين .

إذن : فقد وقف الخلق الانسانى عند المرحلة البدائية الأولى . بينما تطور العقل بعض التطور العلمى وان كان الاحصاء الأخير يدل على أن مستوى الذكاء الانسانى لا يزيد على ذكاء صبى فى البلوغ .

وبناء على ذلك تسلح الهمجى المقنع المدعى المدنية ، المكتسى ثوبا خداعا براقا ، واستعمل جميع أسلحة الفتك والدمار ... استعملها عن جهل خلق لا عن جهل عقل ... وعن طبيعة لم تهذبها الأجيال أى تهذيب ...

والنتيجة ؟

انه سيكون بعد الحرب الحاضرة جيل من العجزة والضعاف والمشوهين لأن الحرب ستأخذ أحسن ما فى الخلق شبابا وفتوة ...

كبائع اللبن حين يذهب بخيره ويبقى أقل ما فيه من الخير فى قاع الإناء ...

وكيف السبيل الى إصلاح الخلق الانسانى ؟ ؟

وكيف السبيل الى علاج هاته الحالة المحزنة المتوقعة ؟ ؟ ؟

ان علم النفس هو علم السلوك الانسانى وهو علم لم يعط مكانته بعد . والسلوك الانسانى اليوم مقاقل مضطرب ، والتوازن ضائع ، فلا بد إذن من نشر ثقافة نفسية عامة .

ولابد كذلك من ثقافة جنسية عامة . نعنى بذلك أنه يجب أن نواجه مشكلة الجنس بشجاعة ، ومشكلة الجنس هى فى آخر الأمر مشكلة الذرية السليمة الصحيحة وكيفية الوصول إلى ذلك . وليس فى ذلك حياء ولا عار .

إنها مشكلة العالم بأجمعه ، والأسر تكون الأمم ، والأمم هى العالم .

يجب محاربة الضعف والأمراض التناسلية . ويجب محاربة الشذوذ الجنسى . بتنشئة جيل سليم عقلا وجسدا ، حتى يمكن للعالم أن يزدهر ويترعرع من جديد .